

كاظم باشا الحسيني

بقلم احمد حسن الزيات

حنانيك يا رب ١١ أفي الساعة التي يضطرب فيها البحر
ويحار المركب ويبعد المرفأ، يموت الربان ويختفي القطب ١٢
وفي الساعة التي يستحضر فيه النضال بين حق العرب وباطل اليهود،
وبين ايمان فلسطين وطنيان الانجليز، يسقط القائد ويهبط
العلم ١٣ وفي كل يوم تتجاوب أصداء الأسمى في أقطار العروبة
على بطولة تودى، أو زعامة تخلو، أو نبوغ ينطق، أو ألفة
تفترق، أو وحدة تكتسب ١٤

لابأس بالالم يجمع شتى القلوب على الاحساس المتحد،
وبالخطب يروض رجز المغامر على المقاومة الشديدة، وبالموت
يمت صراع النفوس الى الحياة العزيرة، أما المدامع التي تتجنب
المشاعر، والشدائد التي توهن العزائم، والمنايا التي تقبر
الأمانى، فأرزاء من الشر المحض والعذاب الخالص كابنتها
الأمّة العربية وأسفاه في مصارع سعد وفيصل وكاظم ١

روّع العرب في عيد التضحية والتالية مصاب فلسطين في حياة
نهضتها سر وحبها وروح نورتها المغفور له موسى كاظم باشا
الحسيني، فضجت المآذن بالنش، وفاضت الصحف بالثناء،
واضطربت الألسن بالأسف، ونال الناس من الجزع الطبيعي
ما ينالهم حين يروى الركن يميل، أو النظام (١) ينقطع،
أو الدليل يغيب، وتساءلوا عن مصير فلسطين المعذبة بعد
شيخها الذي أخلصت جوهره السنون، وأحكمت رأيه السن،
وشيعت قلبه العقيدة، وأعلت صوته النزاهة، وقدست شمسها
التضحية، فجعل الحزبية، وأنكر الطائفية، وسل أحقاد الصدور،
وأذهب تنافس الأسر، وعبأ الأمّة المغزوة في دار أمنها، ثم
قادها زهاء خمسة عشر عاماً في المفاوضات بلندن، وفي المظاهرات
والمؤتمرات بفلسطين، لا يقطعه بأس، ولا يردعه وعيد،

النظام هو الحيط الذي يجمع حبات الغد

أوما يدل على الإكتئاب، أو ما يدل على الشكر وعرفان الجليل.
وعبرت جنازة مختار مدينة القاهرة تجلبها الحكومة المصرية أو
تكاد تجلبها، لم يمش في جنازة مختار ولم يقيم على قبر مختار وزير
العلوم والفنون. ولم يلق أحد على قبر مختار ككلة الوداع، وإنما
كان الصمت يشيعه، وكان الصمت يواريه التراب، وكان الصمت
يردعه حينما تفرق من حوله الأصدقاء. ولو قد مات مختار
في بلد غير مصر لكان لموته شأن آخر. ولو قد كان مختار فرنسياً
أو انجليزياً أو ايطالياً وأدى لبلده مثل ما أدى لمصر لقامت الدولة
له بشئ آخر غير الإهمال والاعراض. إذن لكانت جنازته
رسمية تنفق عليها الدولة، ويمشي فيها رجال الدولة، ويخطب فيها
كبار الدولة، ولكن مختاراً نشأ في مصر، وعمل لمصر، ومات في
مصر فحسبه ما أتبعه يوم الاربعاء من توديع الذين كانوا من
اصدقائه وأجائه ليس غير

ولانفس أن رئيس الوزراء قد تفضل فندب من مثله في جنازة
مختار. وهذا، وبالسخرية الاقدار، كثير جداً ينبغي أن يشكر لرئيس
الوزراء. فقد ينبغي ألا تنسى أن مختاراً لم يكن من انصار السياسة
الرسمية، ولا من الذين يستمعون بعطفها ورحبها ورضاهها، فكثير
أن يتفضل رئيس الوزراء فيندب من يمثله في جنازة هذا المعارض
وان كان صاحب فن، وان كان قد انفق حياته كلها لمصر لا للحزب
من الاحزاب ولا لجماعة من الجماعات. لا أكذب المصريين أن
لنا في مثل هذه الاحداث والخطوب مواقف لا تشرقنا ولا تلامس
ما نحب لانفسنا من الكرامة، ولا تشجع العاملين على أن يعملوا.
ومن الذي نسي موت الشاعرين العظيمين حافظ وشوقي وموقف
السياسة منهما. ذهب المعارضون يحافظ، واستأثر المؤيدون بشوقي،
ثم ذهب للمعارضون بمختار منذ أيام، وضحى بالادب والفن في سبيل
الادواء والشهوات، وظهر المصريون في مظهر العقوق الذي لا يليق
بالشعب الكريم. لا أكذب المصريين انهم في حاجة الى أن يرفعوا
انفسهم امام انفسهم وامام غيرهم عن هذه المنزلة الميئة، انهم في حاجة
الى أن يرفعوا الادب والعلم والفن عن اعراض الحياة، واعراض
الخصومة السياسية، ان في الحياة أشياء ارقى واطهر واكرم من
السياسة وخصوماتها، والادب والعلم والفن أول هذه الأشياء.

(البقية على صفحة ٥٥٨)